



خطبة صلاة الجمعة 16 / 7 / 2021 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (يوم عرفة وحفظ الهوية)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (II) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 11، 12].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به. والأذن الواعية هي أذن سمعت وعقلت ما سمعت، أو هي أذن تحفظ ما سمعت، وتفكر فيه وتعمل بموجبيه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة الثانية والعشرون في سلسلة عناونها (توعية)، أعرض لكم فيها صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحة مرة لنعمم خيرها وننشر فضلها، وخاطئة أو مخطئة مرة لنحذر شرها ونترك فعلها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يجب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

## عنوان خطبة اليوم: يوم عرفة وحفظ الهوية

في حجة الوداع وفي يوم عرفة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته الفاذة الجامعة ذكر فيها حفظ الحقوق وحفظ النساء وحفظ الهوية وحفظ الدين، وبهذه الأربعة كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلن للمسلمين جميعاً من أسلم قديماً ومن أسلم حديثاً، ويعلن للعالم المؤمن وغير المؤمن مبادئ المدنية في الإسلام.

أما حفظ الحقوق ففي قوله: «أيها الناس، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» فالناس كل الناس في المجتمع الإسلامي محفوظو الحقوق.

وأما حفظ النساء ففي قوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ... وَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» فالنساء شقائق الرجال.

وأما حفظ الدين ففي قوله: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بعده، إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابَ اللَّهِ» وفي رواية الموطأ «كِتَابَ اللَّهِ وَسُنِّيَّ» وفي رواية الترمذي «كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي». ففي حفظ الدين حفظ للمجتمع.

وأما حفظ الهوية ففي قوله: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضْعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعاً فِي بَنِي سَعْدِ، فَقَتَلْتُهُ هَذِيلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبٍّ أَضْعُ مِنْ رَبَّنَا، رَبُّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ» وشاهد الخطبة أيها الإخوة في هذا الأخير حفظ الهوية.

### أيها الإخوة:

هوية المسلم الإيمان الراسخ والعلم النافع والعمل الصالح، وكل ما لا يتفق وهوية المسلم رماه رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت قدمه.

من ذلك الربا والثأر الذي كان معمولاً بهما قبل الإسلام، ولكي لا يظن أحد أن الأمر شعارات جوفاء بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وبأهله فقال: كل من كان اقترض من عمي العباس بربا وزيادة وفائدة فإن هذا الربا وهذه الزيادة وهذه الفائدة موضوعة عنه ولا ينبغي عليه أن يعيد إلا ما اقترض وحسب من دون زيادة.

وقال: إن ثأر ابن عمنا ربعة بن الحارث لموت ولده إياس موضوع أيضاً ومتروك، إذ كان إياس صغيراً يحبو فقتلته هذيل فكان ربعة وقومه يطلبون ثأره منهم.

ومثل ذلك أيها الإخوة قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَقَ، وَمَنْ سَلَقَ، وَمَنْ حَرَقَ**» [البخاري ومسلم].

وثلاثتها عادات جاهلية عند المصيبة تتنافى مع هوية المسلم يخلق من نزلت به مصيبة رأسه أو يصرخ ويضج وهو السلق أو يشق ثيابه وهو الحرق.

وأخرج أبو داود عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وأهل المدينة لهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «**مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟**» قالوا: كُنَّا نلعب فيهما بالجاهليَّة، فقال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ**».

وأخرج ابن ماجه عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْسٌ عَرَبِيَّةٌ، فَرَأَى رَجُلًا بِيَدِهِ قَوْسٌ فَارِسِيَّةٌ، فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ؟ أَلْقَهَا، وَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ وَأَشْبَاهِهَا، وَرِمَاحِ الْقَنَا، فَإِنَّهُمَا يَزِيدُ اللَّهَ لَكُمْ بِهِمَا فِي الدِّينِ، وَيُمْكِّنُ لَكُمْ فِي الْبِلَادِ**».

وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: وَفَرُّوا اللَّحَى، وَأَخْفُوا الشَّوَارِبَ**»

وهكذا تجدون نصوصاً كثيرة – وقس عليها مثلها – تدور على إبراز شخصية المسلم والمحافظة على هويته، من الإيمان الراسخ والعلم النافع والعمل الصالح، مع حبه لبلده وقوميته، وعدم الانصهار في المخالف والذوبان فيه.

فالللمسلم هوية تظهر في كل ما يتعلق به بدءاً من سلامه على من حوله، وانتهاء بأخطر قضية في الوجود توحيد الله تعالى، مروراً بعلاقاته الأسرية وتعاملاته المالية ومرافعاته القضائية.

وليس صواباً أن يَرْتُّن بعضنا في معرض كلامه أو كتاباته بكلمات أعجمية، ولا أن نقيم بعض حفلاتنا على الطريقة الغربية، ولا أن يخطب بعض شبابنا على الطريقة الأوروبية، ولا أن تتحول بعض أزيائنا وقصات شعور أبنائنا إلى الموديلات الأجنبية المخالفة لقيمنا، فترى الشاب عربي القلب غربي الرأس، وترى الفتاة عربية القلب غربية الثوب.

وعندما تغيب شخصية الإنسان وهويته من مفاصل حياته فهذا خطأ مطلوب أن نصححه وأن نتداركه.

كل من أهمل ذاتيته فهو أولى الخلق طراً بالفناء

لن يرى في الدهر قوميته كل من قلد عيش الغرباء

وهل يقلّد المسلم غيره في الغث والسمين، ويضيع هويته وهو يتلو القرآن وفيه: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا فِيمَا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (I61) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (I62) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿﴾ [الأنعام: 161 - 163].

وهل يقلّد المسلم غيره في الغث والسمين، ويضيع هويته وهو يقول في كل صباح ومساء: «رَضِيتُ بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً».

وهل يقلّد المسلم غيره في الغث والسمين، ويضيع هويته وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: 138] فالدين يصبغ الإنسان صبغة خاصة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصورات وآماله وأهدافه وسلوكه وأعماله.

قال القرطبي في تفسيره: (سُمِّيَ الدينُ صبغة استعارة ومجازاً حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب).

### ختاماً - أيها الإخوة:-

ذكرت خطبة يوم عرفة المبادئ الأربعة للمدينة في الإسلام: حفظ الحقوق وحفظ الدين وحفظ النساء وحفظ الهوية.

وإن اعتزاز المرء بهويته وتمسكه بشخصيته دليل على سيادته ورفعته، وتنازل المرء عن شخصيته وذاتيته وهويته أمام كل دخيل دليل على ضعف وعجز.

وإن الأمم التي تريد أن تبقى هي التي تحافظ على هويتها، فالهوية هي ذات الأمة ووجودها. ومهما اجتهد المرء فينا أن يُظهر تعاليم دينه في معاملاته وسلوكياته وبيعه وشرائه وأخذه وعطائه فهو الصواب، ومن الخطأ الجسيم أن تكون قلوبنا مع الدين وجوارحنا مع غيره. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس منا مَنْ تشبّه بغيرنا» [رواه الترمذي].

والحمد لله رب العالمين